دكتور عز الدين اسماعيل

التفسير النفسيّ للأدب

مكتبة غريب

الناشر
مكتبة غريب
٢٠١ شارع كامل صدقي (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٢٢٠٧٩

التفسير النفسيّ للأدب

تأليف

دكتور عز الدين اسماعيل

الطبعة الرابعة

الناشر

مكتبة غريب

٣١، شارع كامل صدقي (الفجالة)

تليفون ٩٠٢١٠٧

الفصل الثالث

سر شهر زاد

« كانت الناس تسأل فى أواخر القرن التاسع عشر : كيف لاءم الفرد بين نفسه وبين الدنيا ، أما الآن فأول أما نسأل : كيف لاءم الفرد بينه وبين نفسه »

إميل لدفج

علاقة الإنسان مع ذاته علاقة غريبة وغامضة ومعقدة . والبحث عن أسباب الصراع المختلفة التى تنتاب الإنسان فى حياته لابد أن يأخذ فى الاعتبار الأول أهمية فحص هذه العلاقة أولا ثم يكون الانتقال بعد ذلك إلى البحث عن الدوافع البعيدة التى تفسر هذه العلاقة .

ومنذ قديم قامت الأسطورة فى حياة الإنسان بدور جوهرى ؛ فكانت بالنسبة له تفسيراً عاطفيا لعلاقته بالكون الأكبر macrocosmos والكون الأصغر microcosmos على السواء . هذا التفسير العاطفى قد يمس روح الإنسان كذلك فى غير العصر الأسطورى . فالأسطورة ما تزال حتى اليوم تعيش فى ضمير الناس على نحو أو آخر ، بل ربما قامت بدور كبير فى توجيه حياة الفرد والجماعة لا يقل فى أثره عن الدور الذى كانت تؤديه فى عصر الأسطورة .

غير أن هذا لا يمنع من أن ننظر إلى الأسطورة الآن على أنها تفسير غير كاف ، وأنها هى نفسها تحتاج إلى التفسير . فالعنصر العاطفى الذى تنطوى عليه يجعل التفسير الذى تتقدم به مغلفاً بكثير من الغموض . إن الأسطورة تصف فى الحقيقة أكثر من أنها تفسر . وهذا يجعلنا دائماً لا نملك إزاءها إلا أن نتساءل من وقت لآخر : لماذا ؟ وكيف ؟ ونحن بسؤالنا الأول نتطلب معرفة المبررات العقلية أو النفسية للوقائع ، وفى السؤال الثانى نتطلب الإلمام بالتفصيلات الحيوية الفعالة التى جعلت ما حدث ممكناً أو ضرورة لا مناص منها .

ومن هنا كانت علاقة الإنسان مع ذاته فى الأسطورة أمراً مبهماً ، يحتاج إلى

التفسير . وقد صنع الفنان من نفسه منذ وقت مبكر — وما يزال حتى اليوم — مفسراً للأسطورة . إنه يحاول دائماً أن يجيب عن هذين السؤالين : لماذا ؟ وكيف ؟ بأن يتجاوز الستار العاطفى الذى يغلف الأسطورة إلى ما يمكن أن تنطوى عليه من حقائق . ولما كانت الأسطورة لهذا ميداناً خصباً للتأمل والتفكير ، ولما كانت من الرحابة بحيث لا يمكن الاستحواذ على كل مضمونها دفعة واحدة ، كان طبيعياً أن نصادف للأسطورة أكثر من تفسير ، وأن يصح كل تفسير بالقياس إلى الأسطورة . لقد ظلت أسطورة « أوديب » موضوعاً للتفسير منذ عهد سوفوكليس الإغريقى إلى « جان كوكتو » الكاتب الفرنسى المعاصر وإلى توفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير من كتابنا المسرحيين . والذى لاشك فيه أن كل تفسير كان يستمد من فلسفة الكاتب وفلسفة عصره التوجيه إلى منهج التناول والتفسير .

وفى إطار الحضارة العلمية التى تسود العالم المتحضر فى عصرنا يكون من الطبيعى ألا ينفصل الكاتب عن معارف عصره ، حين يتعرض للأسطورة القديمة . يتأملها . ويحاول تفسيرها . وفى الصفحات التالية عرض للتفسير الذى يتقدم به كاتب مسرحى مشهور من كتابنا لأسطورة قديمة مشهورة وتحليل لهذا العرض . وأرجو أن يتضح لنا من خلال هذا التفسير وهذا التحليل كيف أن « علاقة الإنسان مع ذاته » هى الصورة التى تصنع صراع الإنسان ، وتحدد علاقته بما حوله . وسلوكه العام .

١

كيف عرض « باكثير » القصة فى مسرحيته ؟

إننا نصادف فى البداية الملك « شهريار » ناعماً بحب زوجته « بدور » وإن كان هناك شىء ينغص عليه هذا الحب . فهو رجل شهوانى متسلط ، يحب أن يمارس الشهوة فى عنف ويرى فى ذلك قوام رجولته . أما بدور فيبدو أنها لم تكن من نفس النمط ، فلم تجاره فى نزواته ، وإنما حاولت أن ترتفع بنفسها عن ذلك الجموح العاطفى الذى كان يرضى « شهريار » . إنه يدعوها ذات مرة وهو فى نشوة حبه إلى الاستحمام معه فى حمام القصر بعد أن يأمر بأن يملأ الحوض خمراً لا ماء ، لكنها ترفض . وهى لم ترفض لأنها كانت تكرهه ؛ فقد أبدت فى نفس اللحظة استعدادها لأن تغمد السيف فى صدرها من أجله ، وإنما هى ترفض لأنها تربأ بنفسها أن

تظهر معه هكذا عارية . ولا يغنى فى إقناعها بذلك أن يأمر « شهريار » بإغلاق كل النوافذ والشرفات المطلة على الحمام . وعند ذاك يمضى الملك مغيظاً ليستحم مع جواريه .

ويثور الشك فى نفس بدور فتظن أن هذا التحول كان يعنى أن « شهريار » قدأخذ ينصرف بعاطفته عنها ، وعند ذاك تفكر فى وسيلة تعرف بها إذا كان «شهريار» قد انصرف حقاً عنها أم أنه ما زال يحبها . ويهديها تفكيرها فى امتحان حبه لها إلى أن تلفق خيانة من جانبها لترى إلى أى مدى يثور « شهريار » ، فإذا تأزم الموقف كشفت له الحقيقة واطمأنت بذلك نفسها . وعند ذاك أمرت « القهرمان » أن يحضر لها عبداً أسود أدخلته مخدعها وأرسلت « القهرمانة » إلى « شهريار » تستدعيه . لكن « القهرمان » خاف عاقبة هذه اللعبة على نفسه فانفرد بشهريار قبل أن يدخل على بدور وأطلعه على حقيقة هذا التدبير . ويدخل « شهريار » متصنعاً البراءة ، ثم يتطور الموقف إلى اكتشافه العبد فيثور به ويهم بقتله ، وتحاول بدور أن تطلعه على الحقيقة لكنه لا يستمع إليها ويجهز على العبد ، ثم يتحول إليها فتحاول الفرار فيلحق بها ويقتلها كذلك .

ثم ننتقل إلى بيت نور الدين الوزير الذى كان « شهريار » قد أعفاه من منصبه لحزمه معه فنجد هناك « رضوان الحكيم » يقوم بتأديب ابنتيه « شهر زاد » و« دنيا زاد » . ورضوان هذا هو فى الوقت نفسه مؤدب « شهريار » وله عليه دالة . ثم نعرف أن « شهريار » كان بعد مقتل زوجته بدور يخطب كل يوم فتاة لا تمكث معه أكثر من ليلة واحدة ثم يأمر جلاده فى الصباح بقتلها . وفى الوقت نفسه كانت حال الشعب قد زادت سوءاً نتيجة لفساد الوزير الجديد « ركن الدولة » . ونعرف كذلك أن « شهريار » خطب « شهر زاد » ، وأنها ستزف إليه بعد أسبوع . وكانت الأسرة ومعها رضوان الحكيم فى هم من هذا . ثم يحضر اثنان فى زى بائعى الخضر لمقابلة نور الدين فى أمر مهم . ويعرفهما نور الدين ؛ إذ كانا من أصدقائه القدامى ، ويتحدث الجميع عن سوء الأحوال نتيجة لعبث « شهريار » وعسف وزيره . ويتحفظ نور الدين فى البداية فى الإدلاء برأيه ثم يقرر فى صراحة أنه قد أعد للثورة وأنه ينتظر اللحظة المواتية. أما هذان الشخصان فقد كانا جاسوسين

لركن الدولة دسهما على نور الدين بعد أن اشترى ذمتهما للإيقاع به . وإنه لينقل إلى « شهريار » عبارات نور الدين فإذا بنا نفاجأ بشهريار فى بيت نور الدين يحاسبه على ما فاه به ، ويقرر أن تزف إليه « شهر زاد » فى نفس الليلة ، حتى إذا كان الصباح طوّح الجلاد برأسها ثم برأس نور الدين .

وهنا تظهر « شهر زاد » — وهى شخصية قوية حصيفة — فيؤخذ « شهريار » بجمالها ، حتى إذا ما تحدثت أخذ بروعة منطقها . وهو يقرر — وهو فى أسرها وبناء على طلبها — أن يمنح نور الدين أسبوعاً قبل أن يطوح الجلاد برأسه .

وتزف « شهر زاد » إلى « شهريار » ، وينصرف الجميع من القصر إلا « دنيا زاد » التى تختفى — بناء على تدبير سابق — فى مخدع الملك خلف ستار . ويقبل « شهريار » ويأخذ فى الحديث مع « شهر زاد » مأسوراً بمنطقها وجمالها وإن كان ذلك لم ينف من نفسه نية القضاء عليها فى الغد كسابقاتها . ثم يكتشف وجود « دنيا زاد » التى تصطنع السذاجة وتزعم أنها شريكة أختها فى « شهريار » لأنها تعودت أن تكون شريكتها وملازمة لها فى كل شىء . ثم يغلب على « دنيا زاد » النعاس فتصر على أن تنام فى سرير « شهريار » . وتبدأ « شهر زاد » تقص عليها قصة حتى تنام ، فيستمع « شهريار » للقصة مسحوراً ، وبذلك يبقى « شهريار » على « شهر زاد » حتى يستزيد من قصصها الطريفة .

وتمضى على ذلك ألف ليلة وليلة ، و « شهر زاد » دائبة على قصصها و «شهريار» أسير لها . وقد نجحت هذه الخطة فى تحويل « شهريار » عن الفتك كل يوم بإحدى العذراوات ، والاستنامة إلى « شهر زاد » . لكنه كان فى هذه الفترة يهب كل ليلة من نومه ويجرد سيفه ويمضى إلى جناح بدور ليقتل شبح العبد وشبحها ثم يعود ليستأنف نومه . وهو لم يكن يدرى أنه يصنع هذا كل ليلة . وعند ذاك أدركت « شهر زاد » أنه ما زال مريض النفس وإن صار سليم العقل ، فتشاورت مع رضوان الحكيم ودبرت خطة لشفاء نفسه .

خرج « شهريار » ذات يوم للصيد بمفرده وتخلفت « شهر زاد » لتنفذ خطتها . استدعت « القهرمان » وطلبت إليه إحضار جارية سوداء ألبستها ملابس العبد وأدخلتها مخدعها وأمرت « القهرمان » ألا يخبر « شهريار » بشىء . ويأتى « شهريار »

فتستقبله « شهر زاد » على النحو الذى استقبلته به بدور من قبل . ثم يتطور الموقف بنفس الطريقة فيكتشف « شهريار » العبد فى مخدعه فيثور وينقم على « شهر زاد » ويقرنها ببدور وبكل النساء فى الخيانة . وتسرع « شهر زاد » إلى داخل المخدع لتستقبل « شهريار » شاهراً سيفه يبغى قتل العبد وقتلها . لكن « شهرزاد » تواجهه حاملة ملابس العبد مصطحبة الجارية فيسقط فى يده ، إذ يعرف أنه لم تكن هناك خيانة قط ، وأن الأمر لا يعدو المزاح . لكن أثر هذا المزاح كان كبيراً فى نفسه ، إذ ذكره بأن بدور لم تخنه كذلك ، وأنه كان يعرف حين قتل العبد وقتلها أنها ليست خائنة . عند ذاك يثوب إلى نفسه ، ويدرك فظاعة الجرم الذى ارتكبه . ويظهر رضوان الحكيم لكى يخفف عنه بأن يدعوه إلى التكفير عن ذنبه بأعمال الخير . ويكفر « شهريار » عن ذنبه ، لكنه يعاف حياته ويخرج ضارباً فى الأرض مثل « سندباد » .

٢

وهنا نبدأ فى مواجهة المشكلات التى تثيرها هذه المسرحية . وأول هذه المشكلات هى : لماذا قتل « شهريار » زوجته بدور التى بادلها الحب وهو يعرف أنها لم تخنه ، وأن ما رآه فى مخدعها لم يكن يشكل خيانة حقيقية ؟

إن القصة فى صورتها الأولية البسيطة لا تنطوى على هذا التناقض المحير ؛ إذ أن قتل الزوج زوجته بسبب خيانتها أمر يمكن فهمه دون عناء . إنه عمل يحمل تفسيره فى ذاته . أما قتل الزوجة التى تتفانى فى حب زوجها لمجرد صورة الخيانة المزيفة التى لم يدفع إليها إلا فرط الحب ، والتى كان « شهريار » نفسه يعرف زيفها ، فأمر محير يحتاج إلى شرح .

لقد أطلعنا « شهريار » نفسه على أنه انتهز تلك الفرصة للخلاص من زوجته ، فنغافل عن المزاح فى تدبيرها وحمله على أنه حقيقة تسوغ له قتلها . وإنه ليفاجئنا عندما يخبره « القهرمان » بتدبير بدور بهذا التصريح الغريب :

« شهريار : (فى رضى) فرصة ! فرصة رائعة ! (فى حقد) يا رجل ! يجب أن أمحوها من الوجود ! الآن . الآن وإلا فلن . . . »

أكان « شهريار » إذن يبيت فى نفسه التخلص من بدور ؟ هذا هو الظاهر

من تصريحه . ولكن لماذا ؟ ألم تكن بدور تتفانى فى حبه والإخلاص له ؟ فما الذى يدعوه إلى التخلص منها ؟ أيسعى الإنسان أحياناً إلى التخلص ممن يحبه ويتفانى فى حبه ؟

وقبل أن نجيب عن هذه الأسئلة ينبغى أن نعود إلى « شهريار » نفسه . لنرى ما إذا كان المؤلف يمدنا بالمبررات التى دفعته إلى فعلته .

وقد حرص المؤلف على أن يصوّر « شهريار » بالرجل الشهوانى العربيد الذى يستمد زهو رجولته من مظاهر شهوانيته وعربدته . وفى هذا الحوار بين « القهرمانة » وبدور يصوّر المؤلف هذه الشخصية :

« بدور : . . . إنه أصبح يكرهنى لا ريب فى ذلك .

القهرمانة : حاشا أن يكرهك يا مولاتى ، أين يجد مثلك ؟

بدور : بل فراش الجارية التى قلبتها أيدى النخاسين أحب إليه من هذا الفراش المصون . وقهقهات ندمائه المعربدين بين رنين الكأس ودخان الحشيشة والأفيون أندى على كبده من بسماتى البريئة الطاهرة . . . »

هذه الصورة كانت — كما قلت — مصدر زهو « شهريار » ، وكانت بالنسبة له تأكيداً لرجولته . لكن بدور كانت تكره هذه الصورة وتنقم على « شهريار » من أجلها . وفى الوقت نفسه كان « شهريار » كارهاً للصورة التى رسمتها بدور لنفسها والتزمتها معه . وقد ظهرت تعاسته واضحة عندما رفضت مترفعة أن تستحم معه فى حمام القصر . وهى بذلك كانت قد طعنته فى مصدر زهوه ؛ فقد ارتبط معنى الرجولة عنده بتلك الصورة من الحياة التى كان يحياها . وكان استنكارها لهذه الصورة هو الذى جر عليها القتل . يتضح لنا هذا عندما واجهها بعد أن قتل العبد وهم بقتلها حيث يجرى الحوار بينهما على هذا النحو :

« شهريار : وسأقتلك أيضاً يا فاجرة .

بدور : (تهب فى وجهه) كذبت ! الله يعلم أنك لأنت الفاجر !

شهريار : (يتراجع قليلا ويبدو فى وجهه شىء من الرضى) الفاجر ؟ ؟ الفاجر يا بدور ؟ أنا فاجر عندك ؟

بدور : عند الناس جميعاً .

شهريار : (فى ابتسامة غريبة) وعندك أنت ؟

بدور : أنت مجنون !

شهريار : (تخفى الابتسامة من وجهه) مجنون !

بدور : نعم مجنون !

شهريار : (يستشيط غضباً) ألم تقولى الساعة إننى فاجر ؟

بدور : (تتوهم أن هذه الكلمة هى التى أغضبته فتلين لهجتها متوسلة) عفواً يا مولاى ، كانت منى زلة لسان .

شهريار : (يستشيط غضباً) زلة لسان ؟ إذن فلا مناص من قتلك » !

فنحن نلاحظ فى هذه القطعة الحوارية أن « شهريار » قد ذهب عنه الغضب حينما وصفته بدور بالفجور . كما نلاحظ أنه كان حريصاً على أن يعرف أن هذا ليس رأى الناس الآخرين وحدهم وإنما هو رأيها . وهو من أجل ذلك يلح على أن يعرف رأيها الشخصى . لكن بدور تعود فتصفه بالجنون فتخفى الابتسامة من وجهه ، لأنها بذلك كانت قد تحولت عن الوصف الذى يرضى زهوه لو أنها أقرت هى نفسها به . وهو حين يستشيط غضباً يذكرها بأنها تحولت عن الوصف الأول (وهو الوصف الذى يعنيه) إلى وصف آخر لا يهمه ، ويحاول بالسؤال أن يعيدها إلى الوصف الأول . لكنها توهمت (خطأ بطبيعة الحال) أن ذاك الوصف قد أساء إليه (ولو كانت دقيقة الملاحظة لأدركت أن غضبه لم يزايله ، وأن الابتسامة لم تعل وجهه إلا حين وصفته بذلك الوصف) فأرادت أن تعتذر عنه . وكان اعتذارها بالنسبة له يعنى إنكارها لذلك الوصف وأنه ليس حقيقة فيه وإنما انزلق لسانها به . وعند ذاك زاد غضبه ورأى أن لا مناص من قتلها ، فقتلها .

هذه هى المبررات التى نستطيع أن نستشفها من المسرحية لتخلص « شهريار » من زوجته بدور . فبدور كانت تحب « شهريار » ولكنها كانتِ فى الوقت نفسه تصده عن شهوته صدًّا عنيفاً وتأخذ من شهوته هذه موقفاً حاسماً . أما « شهريار » فقد حاول أن يحبها ولكن هذا الصد منعه . ولهذه الظاهرة تفسيرها النفسى الذى يمكن أن يجلو لنا الموقف ويجيب على سؤالنا القديم : ما الذى دعا « شهريار » إلى التخلص من هذه الزوجة المحبة .

يعرف « لورنسى شافر » الصد بأنه الإحباط الناتج عن موقف ما ، فيمتنع الدافع من أثر عقبات خارجية أو من نشاط أشخاص آخرين . . . وقد أظهرت الأدلة التجريبية والتجارب العادية أن الصد البسيط قلما يؤدى إلى صعوبات توافقية خطيرة ، فإن المرء إذا صُدّ يثابر عادة حتى يجد حلا ، أو ينصرف عن الهدف إذا كان مستحيل التحقيق ، ولكن الصد فى كثير من الأحيان يؤدى إلى العدوان ، إلى هجمة غاضبة على الشىء أو الشخص الذى يعترض السبيل[1] .

وبالنسبة لشهريار لم يكن الصد من ذلك النوع البسيط المأمون العاقبة ؛ فقد وجه هذا الصد ضد رغبة من أقوى الرغبات الإنسانية إن لم تكن — كما هو رأى « فرويد » — أقواها . وهى الرغبة الجنسية . وبهذه الرغبة ارتبط الحب فى نفس « شهريار » . وهو نفسه يؤكد هذا المعنى بدعوته لبدور للاستحمام معه فى حمام القصر ، ففى ذلك إرضاء لرغبته الجنسية العارمة ، أو إن شئنا لشراهته الجنسية . ومن ثم كان رفض بدور لهذه الدعوة صدًّا لشهريار من النوع الخطير . وفى مثل هذا الموقف تنتفى أولا إمكانية حب شهريار لبدور (وقد كانت صادقة الإحساس. حينما قررت بعد هذا الموقف أن « شهريار » لم يعد يحبها) ، وتنشأ ثانياً الرغبة فى التخلص منها . « فعندما تكبت الرغبة الجنسية ينشأ الشعور بالعلاقات الوجدانية الحسية على أنها نضوب خطير للأنا ، ويستحيل أن يكون الحب مُرضياً : كما لا يمكن إثراء الأنا مرة أخرى إلا بانسحاب الرغبة الجنسية من موضوع هذه الرغبة »[2] . ومن أجل ذلك خرج « شهريار » لكى يستحم مع الجوارى فى حمام من الخمر بعد أن امتلأت نفسه بكراهية بدور . وهو لم يصنع ذلك رغبة منه فى مجرد إغاظتها أو إثارتها كما قد يبدو للوهلة الأولى ، وإنما هى رغبة منه فى تأكيد الذات والدفاع عنها . حتى إذا ما أتيحت له الفرصة انقض على بدور فأجهز عليها ، وكان بذلك قد تخلص نهائيا من ذلك العامل المناوئ لتحقيق ذاته .

ثم تحكى القصة أن عملية القتل هذه ظلت تتكرر من جانبه مع العذراوات . وعند ذاك يحق لنا أن نتساءل : لماذا كان « شهريار » يصنع هذا مع علمه بأن

---

(١) ميادين علم النفس ، ص ٣٦٣ .

(١) *Freud* : Collected Papers, IV 81.

خيانة بدور لم تكن دافعه الحقيقى لقتلها لأنه لم تكن هناك خيانة على الإطلاق ؟

ويمكننا الآن أن نفسر ذلك من خلال ما قدمنا من تحليل . فالمؤكد أن تفسير هذه الظاهرة فى ضوء مسألة الخيانة غير صحيح . ومع أن « شهريار » نفسه يزعم هذا الزعم . أى أن كل النساء فى نظره خائنات مثل بدور . إلا أن هذا الزعم لا يمكن الاطمئنان إليه . فالمرجح أن يكون زعمه هذا مجرد محاولة لتغطية موقفه الآخر الذى كان يرى فيه كل النساء مثل بدور حقا ولكن ليس فى خيانتها . إن كل النساء بالنسبة له (وجدير بالملاحظة أنه كان يختار بنات عذراوات ليصنع بهن صنيعه) كن مثالا لبدور فى تعففها واستعلائها على نزواته الشهوانية المجنونة . ومن ثم كان قتله لهن تأكيداً دائماً لذاته ومحافظة على وجوده .

لكن « شهريار » لم يكن ليتر بهذا الدافع الكامن فى لاشعوره ، وتمت فى نفسه عملية إزاحة آلية نقلت رغبته الأولى فى التخلص من زوجته إلى مستوى الحقيقة . كانت هذه الرغبة الخبيثة فى نفسه تتمثل على هذا النحو : لابد من التخلص من بدور . ربما خانتنى فقتلتها . والآن وقد قتلها فقد استدعى القتل بقية أجزاء الصورة الكامنة فى نفسه والمرتبطة بهذا القتل . عند ذاك استقر فى نفسه أن الخيانة كانت حقيقية . لأنه قتلها . وهذه العملية من الربط بين أجزاء الصورة والاستنتاج المعكوس ليست غريبة فى منطق اللاشعور .

لكن تحقيق هذه الرغبة وإن أرضى اللاشعور إلا أن شعور « شهريار » الواعى يدرك تماماً أن النتيجة ليست منطقية مع المقدمات ، أى أن القتل ليس نتيجة للخيانة ، لأن الخيانة فى الواقع لم تحدث . ومن ثم كان الصراع الذى يظل «شهريار» يعانى منه حتى تأتى « شهر زاد » لتحل كل أزمته .

وماذا صنعت « شهر زاد » ؟

كان عليها أولا أن ترضى غرور « شهريار » وموضع زهوه . كان عليها أن تشعره بأنه — كما نقول فى لغتنا الدارجة — رجل « فتك » ؛ فهذا أول خطوة فى سبيل استمالته والسيطرة عليه . وهى بعد أن يقبلها تسدل النقاب على وجهها ثانية فيدور بينهما هذا الحوار :

« شهريار : ويلك ماذا تصنعين ؟

شهر زاد : أتقى يا مولاى نظرات عينيك . إنهما مخيفتان .

شهريار : ماذا يخيفك فيهما ؟

شهر زاد : ما يخيف الفتاة الغريرة من عينى الرجل الفاتك !

شهريار : (يشرق وجهه بشراً) الفاتك ؟ ما يدريك أننى كذلك ؟

شهر زاد : هذا يا مولاى حديث الناس قاطبة .

شهريار : ماذا يقول الناس عنى ؟

شهرزاد : ولى الأمان ؟

شهريار : نعم .

شهرزاد : يقولون إنك أكبر زير نساء أنجبته امرأة !

شهريار : (يضحك) وتخشينى من أجل ما سمعت ؟

شهرزاد : كنت يا مولاى أخشاك من أجل ما سمعت ، أما الآن . . .

شهريار : (يغيض البشر من وجهه) هيه ؟

شهرزاد : فقد صرت أخشاك من أجل ما رأيت !

شهريار : (يعود البشر إلى وجهه) ماذا رأيت ؟

شهرزاد : أعفنى يا مولاى » .

ويستمر هذا الحوار الذى تدغدغ فيه « شهر زاد » مشاعر الزهو فى « شهريار » ، تلمح تارة وتصرح تارة أخرى فى لباقة وكياسة . ويخطر لشهريار أن « شهرزاد » ربما فكرت فى النجاة من المصير الذى قدره لها بهذ الأسلوب من الحديث الشائق فيقرر أن سيف الجلاد ينتظرها كذلك فى الصباح لا مفر .

« شهرزاد : مولاى ليس سيف الجلاد هو الذى أخشاه .

شهريار : عجباً . . . فماذا تخشين ؟

شهرزاد : أخشى ما هو أهول من سيف الجلاد . . أخشى نارك !

شهريار : (فى شىء من الرضى) نارى ؟

شهرزاد : نعم . . . نارك التى تهفو إليها نفسى ولكنى لست أقوى عليها بعد! »

وهكذا تتخذ « شهر زاد » فى محاورة « شهريار » أسلوباً آخر مناقضاً لأسلوب بدور ، وهو الأسلوب الذى يرضى غرور « شهريار » . إنها تحدثه عن عينيه

الفاتكتين وعن ناره التى تهفو نفسها إليها . إنها لا تنكره إذن كما صنعت بدور . بل تجعل مصدر إعجابها به وميلها إليه أنه « زير نساء » .

وقد أفادت هذه الخطوة الأولى فى صرف « شهريار » عن قتل « شهر زاد » وإن قرر أنه إلى حين . وكيف يقتلها فى الصباح وقد لقى فيها نفسه ؟ ! لقد أبدت له أشياء مغرية تنم عن أشياء أخرى فيها ربما كانت أكثر إغراء . فلا بأس إذن فى أن يتمهل فى قتلها .

« شهريار : (يبتسم مزهوًّا) ومتى تقوين على نارى يا . . . فراشتى الجميلة ؟!

شهرزاد : أمهلنى عاماً يا مولاى » .

ويمهلها « شهريار » عاماً ، ويمتد هذا العام إلى ألف ليلة وليلة . وقد وفقت « شهر زاد » إلى كسب هذا الوقت بفضل قصصها الشائعة التى كانت تقصها على « شهريار » كل ليلة . ولكن أكانت أزمة « شهريار » حقاً قد انتهت ؟ ألم يعد يعانى أى صراع داخلى ؟

تقول القصة إنه أصيب بمرض السير فى أثنا النوم somnambulism ؛ فكان يستيقظ كل ليلة ويجرد سيفه ويذهب إلى جناح بدور ثم يسمع صوته وهو يردد عبارة « قتلتك يا فاجرة » ثم يعود ليستأنف نومه . ومعنى هذا أن أزمته لم تكن قد حلت نهائياً ، وأنه ما زال فريسة صراع نفسى معذب . صحيح أنه كف عن قتل العذراوات ، لكنه لم يكف عن قتل بدور . فما معنى هذا ؟

لقد قلنا إن « شهريار » كان يعرف أن بدور لم تخنه ، لكن رغبته اللاشعورية ثبتت فى نفسه نتيجة لعملية استنتاج معكوس أنها خانته . ومن ثم كان الصراع فى نفس « شهريار » بين الحقيقة التى يعرفها يقيناً والحقيقة المزيفة التى زينتها له رغبته الدفينة . ولو انتصرت الحقيقة اليقينية لاستشعر « شهريار » الذنب . ومن ثم كان من الطبيعى أن تكافح الحقيقة المزيفة ضد هذا الشعور ، بأن تؤكد مراراً تلك الحقيقة الزائفة ، أى الخيانة . وقد كان هذا التأكيد قبل ظهور « شهر زاد » يتمثل فى الفتك بالعذراوات شبيهات بدور ، أما الآن وقد نجحت « شهر زاد » فى حمله على الإقلاع عن ذلك راح اللاشعور ينتهز فرصة نوم « شهريار » ليؤكد له الخيانة ، ومن ثم كانت يقظته الحالمة كل ليلة وقتله شبحها . وبذلك استعاض

« شهريار » عن قتل العذراوات بقتل بدور نفسها مرات ومرات . ومن هنا كان العلاج الذى قدمته إليه « شهر زاد » علاجاً سطحياً ؛ فهى وإن تكن قد حررت عقله لم تحرر روحه . إن روحه كانت ما تزال منشقة على ذاتها .

لهذا فكرت « شهرزاد » فى علاج آخر جذرى ، وذلك بأن تنتقل من مخاطبة عقله إلى مخاطبة أغوار نفسه . أن تجعل ذاته تواجه نفسها ، وأن تقر فى لاشعوره أن الخيانة لم تقع . فإذا تم ذلك انفصمت تلك الوحدة النفسية التى كانت تجمع فى لاشعوره بين القتل والخيانة . وعند ذاك ينتقل شعوره بالقتل على أنه كان عقاباً على الخيانة فيظهر أمام عقله الواعى فى صراحة وقوة على أنه كان تجنياً منه على بدور يستحق التفكير .

لكن هذه المحاولة لم تكن بالأمر اليسير . لقد أرضت « شهر زاد » فى « شهريار » رجولته وفحولته ، وسايرته فى هذا الاتجاه حتى سيطرت عليه . لكنها لا يمكن أن ترده سليماً معافى قبل أن تمهد نفسه تمهيداً خاصاً لقبول أى محاولة جديدة ، أعنى أنه كان من الضرورى إقناع « شهريار » بصورة الحياة التى كانت بدور ترغب فى أن تعيشها معه ، تلك الصورة التى تسمو على الشهوة الجنسية والفحولة وما أشبه . فإذا هى نجحت فى إقناعه بهذه الصورة سهل عليها فيما بعد أن تضعه وجهاً لوجه أمام نفسه ، وأن تقنعه من خلال ذلك بأن الخيانة لم تقع .

لهذا نجد « شهر زاد » تبدى فى قصصها غراماً خاصاً بشخصية قصصية هى شخصية « سندباد » ، مما يثير فى نفس « شهريار » الغيرة . وهو يسأل « شهر زاد » :

شهريار : . . . اصدقينى ، هل تحبينه أكثر منى ؟

شهرزاد : نعم ، سأظل أحبه أكثر منك حتى تكون مثله فأحبك حينئذ خيراً منه .

شهريار : أكون مثل هذا الصعلوك !

شهرزاد : البطل بطل يا مولاى ولو كان صعلوكاً » !

ويستمر هذا الحوار فتؤكد « شهر زاد » أنه لا توجد امرأة فى الدنيا لا تتمنى أن تكون للسندباد . وهى بهذا تأتيه من الجانب الضعيف فيه ، لأنه فخور بأنه « زير نساء » ، أى أن النساء يغرمن به ، لكن ها هو ذا شخص آخر يفوقه فى

هذه الناحية . ولكن فى أى ناحية كان « سندباد » يفوقه ؟ إن « شهر زاد » تزعم أنه كان رجلا . فيمتعض « شهريار » لهذا الوصف . أتعنى « شهريار » أنه ليس رجلا ؟ لكنها توضح له ماذا تعنى من وصفه بالرجل . إنها تعنى أنه رجل مغامر جرىء اتخذ الدنيا كلها وطنه وشاهد من عجائب الأرض ما لم يشهده مثله. وهنا يسرى عن « شهريار » ؛ إذ يدرك أنها لم تقصد أنه يفوقه فى الفحولة ، وإنما تعنى بكلمة الرجل معنى آخر . ولكن :

« شهريار : (كأنما سرى عنه) أهذه هى الرجولة التى تقصدين ؟

شهر زاد : وأى رجولة !

شهريار : (باسماً) عهدى بالنساء يعشقن الفحولة !

شهر زاد : أهون بها مزية تفضلكم فيها التيوس والديكة !

شهريار : (يقهقه ضاحكاً) . . »

وبهذا أحدثت « شهر زاد » تحولا فى معنى الرجولة لدى « شهريار » . إن الرجولة التى يظنها فى نفسه ، والتى لم تنكرها « شهر زاد » ليست إلا النزعة البهيمية فى الإنسان ، إنه رجل حيوان ، أما « سندباد » فرجل إنسان . وفى وسع الرجل أن يكون رجلا حيواناً ، لكن مكانته فى النفوس لن تكون مثل مكانته حين يصير رجلا إنساناً . إن النساء يملن إلى الرجل الأول ، ولكنهن يتعشقن الرجل الثانى .

وبهذا التمهيد غيرت « شهر زاد » من مفهوم « الرجل » لدى « شهريار » وجعلته يتشوف لأن يكون مثل « سندباد » . وهى بهذا قد نجحت فى إشعاره بحقارة رجولته التى كانت دائماً مصدر زهوه ، والتى كان اعتزاره بها سبباً فى جنايته على بدور .

وعند ذاك خطت « شهر زاد » الخطوة الأخيرة فى علاجها الحاسم ؛ فنراها تدبر موقفاً شبيهاً بالموقف الذى كانت بدور من قبل قد دبرته ، لكنها كانت أكثر منها حرصاً وحذقاً . فقد رأينا أنها استبدلت بالعبد جارية ألبستها ملابس العبد ، حتى إذا ما ثار « شهريار » واسترجع الحادث القديم وربط بينه وبين الموقف الحالى كشفت « شهر زاد » اللعبة فيسقط فى يده ، ولا يجد مفراً من الإذعان . لقد هيأت له « شهر زاد » بذلك لحظة يقظة يعاين فيها جريمته ، بعد أن فجرت لاشعوره

وكشفت عن العلاقات الزائفة التى صنعها فى سبيل أن يحقق « شهريار » رغبته القديمة . أما وقد صارت هذه الرغبة لديه محتقرة ، أو أنها لم تعد كل شىء فى مقومات الرجل ، فقد أدرك «شهريار» أن « بدور» لم تكن مخطئة . عند ذاك ينظر إلى مفتاح جناحها ملياً والدموع فى عينيه ، ثم يندفع يلثمه ويضمه إلى صدره وهو يتمتم : « قتلتها وهى بريئة . قتلتها وأنا أعلم أنها بريئة ! » ثم يترنح ويجلس على الأريكة ينتحب كالطفل . لقد واجه « شهريار » نفسه أخيراً لكى ينفى من نفسه كل الرواسب التى كدرت كيانه طوال تلك الفترة . أما « شهر زاد » فكان مثلها فيما صنعت مثل الجراح الذى يعيد فتح الجرح الذى كان قد التأم على فساد ليستخرج منه الأذى كيما يلتئم على طهارة ونقاء .

* * *

إن كل الصراع الذى عانى منه « شهريار » راجع إلى « الشعور بالذنب » . وربما جاز لنا الآن أن نطلق على هذا الشعور « عقدة شهريار » . فالشعور بالذنب هو الذى حدد علاقة « شهريار » بذاته ؛ إذ أنه بسبب هذا الشعور لم يكن يستمتع بذات موحدة . كانت ذاته منقسمة على نفسها ، وكان ذلك نواة الصراع الذى عاشه . وهو لكى يتخلص من هذا الصراع كان لابد من أن تتحد ذاته المنقسمة . ولكى تتحد ذاته كان عليه أن يتخلص من شعور الذنب . وهو لكى يتخلص من شعور الذنب كان من اللازم إشعار الذات بهذا الذنب على نحو واضح من خلال الضمير . وهو لكى يخلص ذاته آخر الأمر كان عليه أن يرضى هذا الضمير . وقد وفقت « شهر زاد » فى محاولتها الوصول بشهريار إلى مرحلة إشعار الذات بالذنب من خلال الضمير ، فلم تبق إلا الخطوة الأخيرة لتحرير الذات وهى إرضاء الضمير . عندئذ يقوم « رضوان الحكيم » بهذه المهمة ، فيشير على « شهريار » فى تلك المرحلة بأن يكفر عن ذلك الذنب بأعمال خيرة إيجابية . عند ذاك التأمت ذات « شهريار » وتحررت نفسه . لقد وجد « شهريار » ذاته أخيراً ، أو وجدت ذاته نفسها .

النفسية التى استغلت فى الفصل الخاص بالأدب المسرحى خير معوان على دراسة ذينك النموذجين القصصين دراسة تحليلية ، تأخذ فى الاعتبار الأول رسم صورة عامة للإطار النفسى للعمل الأدبى فى مجمله من خلال تمثل الدوافع البعيدة الكامنة التى حركت الشخوص وحددت لون سلوكهم .

* * *

وبعد فلعلنى بهذه الدراسة قد قدمت صورة منهجية عملية للدراسة النفسية التحليلية للأدب ، كما أرجو أن يكون فى تنوع النماذج الأدبية المدروسة ، القديم منها والحديث ، والعربى منها والغربى ، تأكيداً لصلاحية هذا المنهج فى الدراسة الأدبية ، ومعواناً للآخرين على المضى فى نفس الطريق ، فى سبيل تدعيم الاتجاه العلمى والمنهج العلمى فى دراساتنا الأدبية .

الفهرس

صفحة

افتتاح ٥

الباب الأول : قضايا ومشكلات ٩

الفصل الأول : الحكم والتفسير ١١

الفصل الثانى : مشكلة الفنان ١٩

العصـــاب ٢٠

النرجســية ٢٤

العبقرية ٢٨

الدافع الى الابداع ٣٤

الباب الثانى : فى فن الشعر ٤٣

تمهيـد ٤٥

الفصل الأول : تشكيل العمل الشـعرى ٤٧

التشكيل الزمانى ٤٧

التشكيل المكانى ٥٥

الفصل الثانى : دراسة تطبيقية ٦٩

١ ـ فى موسيقى الشعر :

(أ) فى الشعر القديم ٦٩

(ب) فى الشعر الحديث ٧٤

٢ ـ فى الصورة الشعرية :

(أ) من الشعر القديم ٨١

(ب) من الشعر الحديث ٨٨

صفحة

الباب الثالث : فى الأدب المسرحى ١١٩

الفصل الأول : لغز الألغاز ١٢١

تمهيد ١٢١

١ ـ مسرحية هملت لشكسبير ١٢٢

٢ ـ التفسيرات السابقة للمسرحية ١٢٦

٣ ـ تفسيرها فى ضوء التحليل النفسى ١٣٩

الفصل الثانى : الوجه والقناع ١٥٦

١ ـ « أيام بلا نهاية » ، مسرحية « يوجين أونيل » . . . ١٦٣

٢ ـ تفسيرات نفسية أولية للمسرحية ١٧٠

٣ ـ تفسيرها فى ضوء التحليل النفسى ١٧٤

الفصل الثالث : سر شهرزاد ١٨٢

١ ـ مسرحية « سر شهرزاد » لعلى أحمد باكثير . . . ١٨٣

٢ ـ تفسير المسرحية ١٨٦

الباب الرابع : فى الأدب الروائى ١٩٧

تمهيد ١٩٩

الفصل الأول : الاخوة كاراموزوف ٢٠٤

١ ـ تحليل لشخصية المؤلف « دستويفسكى » ٢١٣

٢ ـ تفسير للقصة ٢٢٠

الفصل الثانى : السراب ٢٤٢

تمهيد ٢٤٢

١ ـ ملخص القصة ٢٤٤

٢ ـ تفسير للقصة ٢٥١

خاتمة ٢٦٥